

أول رواية عربية

ظلت رواية "زينب" لمحمد حسين هيكل هي أول رواية عربية بالمواصفات التقنية والأدبية الشاملة، ولكن الكثير من الدارسين بعد سنوات طويلة ومنهم الباحث محمد سيد عبد التواب، الناقد المصري وأستاذ اللغة العربية، في كتابه "بواكير الرواية العربية" الذي رأى أن هناك روايات سبقت "زينب" زمنياً في الإنتاج الروائي العربي. حيث أشار إلى أن رواية "وي.. إذن لست بإفرنجي" لخليل خوري، الصادرة عام 1858، تحضر في المقدمة حتى من الناحية الفنية التي تميزت بها. وأشار إلى أن عدد الروايات التي سبقت رواية "زينب" يزيد على 250 رواية تقريباً، لكن رواية الخوري تكاد تكون الأسبق زمنياً والأفضل لناحيته الفكرة وتقنيات الكتابة. بينما ذهب آخرون إلى أن رواية "حسن العواقب" للكاتبة اللبنانية زينب فواز هي الأولى حيث ألفتها سنة 1899 أي قبل 15 عاماً وقيل 25 عاماً، من صدور "زينب". كما أصدرت عام 1893 رواية "الهوى والوفاء" ثم روايتها الثالث "الملك قورش" وتدور حول تاريخ فارس القديم وملكها قورش. وفيما نرى أن سبب هذا الخلاف حول أول رواية عربية قام على فنيته وامتلاكها للسرد وبنائها الروائي الحقيقي. وذكرت الناقدة المصرية عفاف عبد المعطي في كتابها "حاضر الرواية في المغرب العربي" الصادر حديثاً عن دار المعارف أن تونس سبقت برواية "الهيفاء وسراج الليل" تأليف صالح السويسي 1906، و"الساحرة التونسية" للصادق الرزوقي 1910.

وقال فؤاد العكليكي مؤسس المكتبة الرقمية مع صديقه رمزي الطويل في حديث أوردته رويترز: "كنا نعلم أن أول رواية فلسطينية كتبت كانت الوارث للاديب خليل بيدس المولود في الناصرة عام 1874 وأن هذه الرواية فقدت بعد العام 48 لذلك قررنا أن نبدأ رحلة البحث عنها في كل مكان.. في مصر والاردن وسوريا ولبنان ولكن لم نجد لها أثراً قبل أن يسعفنا الحظ ونعلم أنها موجودة في إحدى الجامعات الإسرائيلية." وأصدرا النسخة الجديدة من رواية "الوارث" في كتاب انيق يقع في 128 صفحة من القطع الصغير رسم على غلافها الفنان التشكيلي الفلسطيني وليد ابوي صورة للاديب خليل بيدس.

ورأى الدكتور عمر محفوظ في كتابه (شعرية السرد في الرواية النسوية السعودية في ربيع قرن) أن رواية "التوأمان" لعبد القدوس الأنصاري (1930) عن مطبعة الترقى في دمشق هي "إرهاصات لرواية سعودية وليست روايات بالمعنى الفني، بما أنها قصص طويلة". و"فكرة" لأحمد السباعي (1948)، و"البعث" لمحمد مغربي الصادرة في الفترة نفسها، ونشير هنا إلى أن رواية "ثمن التضحية" (1956) لحامد دمنهوري تمثل مرحلة التجديد للرواية السعودية، بعكس سابقيتها كما يرى سحبي الهاجري. ومن جانبه يشير الباحث محمد بن عبد الرزاق القشعمي في ورقته "الفن الروائي وبداياته في المملكة، واختلاف المؤرخين في التسميات!" إلى أن "الرواية العربية في المملكة العربية السعودية بدأت بتأليف عبد القدوس الأنصاري رواية "التوأمان" وأن السعودية كانت واسطة العقد في بدايات الأدب الروائي العربي، إذ لم يسبق المملكة أي من الدول العربية سوى مصر وفلسطين والعراق؛ فقد كانت أول رواية طبعت بالمملكة في عام 1935 وهي "الانتقام الطبيعي" لمحمد نور الجوهري. وقد سبقت مصر المملكة برواية "زينب" لمحمد حسين هيكل، وفلسطين بتأليف رواية "الوارث" لخليل بيرس و"الحياة بعد الموت" لإسكندر خوري عام 1920، والعراق برواية "جلال خالد" لمحمود أحمد السيد التي صدرت عام 1928. أما تونس فقد عرفت الرواية عام 1935، وسوريا عام 1937، ولبنان عام 1939، واليمن عام 1939، والجزائر عام 1947، والسودان عام 1948، والمغرب عام 1957.

وفي اليمن "يفتح الروائي والباحث سامي الشاطبي تقدمته لرواية "فتاة قاروت" للكاتب اليمني الحضرمي أحمد عبد الله السقاف، موضحا الخلاف حول ريادة الكاتب والرواية، كاشفا عن استمرار الخلاف بين النقاد والدارسين اليمنيين حول أسبقية أول رواية يمنية حتى اللحظة، وموضحا أن هناك ثلاث فرق تختلف في الأمر، "بينما يرى فريق من النقاد والدارسين أمثال "هشام علي" و"آمنة يوسف" و"إبراهيم أبو طالب" ان رواية "سعيد" تعتبر أول رواية يمنية بحجة صدورها في اليمن، يرى الفريق الثاني كالباحث "عبدالحكيم باقيس" أن أول رواية شهدتها اليمن سبقت رواية "سعيد" بسنوات عدة، ففي العام 1931 صدرت رواية

"الصبر والثبات" للكاتب اليمني المهاجر في إندونيسيا أحمد السقاف، من دون إشارات واضحة لرواية "فتاة قاروت" للمؤلف نفسه والتي صدرت عام 1927، ومن دون أي ذكر لرواية "الغناء" والتي صدرت عام 1932، فيما رواية "سعيد" صدرت عام 1939. وينتهي الفريق الثالث كالدكتور نزار غانم إلى حل وسط يتمثل في أن رواية السقاف تُعدُّ من الأدب المهجري من دون أن يشرح للقراء في أي خانة محلية تُصنَّف إذاً.!

بينما قال بعض مؤرخي الأدب إن أول نص روائي في المغرب (طه) لأحمد السكوري يعود إلى سنة 1941، على الرغم من أن رواية "الزاوية" للتهامي الوزاني، الصادرة بالعربية سنة 1940 هي قبلها بسنة، ولا أدري لماذا يذكر المؤرخون أن "طه" أول رواية مغربية؟ مع العلم إن هناك رواية مغربية صدرت بالفرنسية عام 1932 وهي "فسيفساء باهتة" لعبد القادر بنعزوز الشاط. وفي تونس رواية (زمن الضحايا" 1947 لمحمد العروسي المطوي. وكانت أول رواية بموريتانيا سنة 1981) رواية الأسماء المتغيرة للروائي أحمد ولد عبد القادر). وكانت أول رواية بالمعنى الحقيقي . بحسب الناقدة عفاف عبد المعطي . صدرت في تونس لعلي الدوعاجي كان عنوانها "جولة حول حانات البحر المتوسط"، وصدرت في عام 1935، وقد شارك الدوعاجي الكتابة الروائية في تلك الفترة كتاب آخرون منهم زين العابدين السنوسي مؤلف الرواية التاريخية "قناة الجمر". وقد كان لمحمود المسعدي دور كبير في تطور الرواية التونسية، إذ صدر عدة أعمال في الفترة من 1939 وحتى 1945، استفاد خلالها من أساليب تراثية قديمة مثل السيرة والمقاومة، ومن أشهر أعماله "السد" التي صدرت بمقدمة لعميد الأدب العربي د. طه حسين. وأشارت الناقدة إلى أن للصحافة الأدبية دورًا كبيرًا في تطور الرواية والقصة في تونس وبخاصة مجلة الفكر وصحيفتي العمل والصبح .

بينما أول رواية ليبية (مبروكة) صدرت عام 1937م . بحسب الدكتور الصيد أبو ديد مستندًا إلى إشارة في كتاب الليبيين في سوريا للكاتبين الليبيين زين العابدين موسى وأحمد أديب بن الحاج. وشكك في هذا القول الباحث عبدالله مليطان وقال إن فن الرواية في ليبيا

يعود إلى الراحل محمد فريد سيالة الذي أصدر رواية "اعترافات إنسان" عن دار الشرق الأوسط بالإسكندرية عام 1961.

واعتبرت "ريح الجنوب" أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية، كتبها عبد الحميد بن هدوقة عام 1970 وتقع في 317 صفحة.

نشير هنا إلى أن رواية الشاط لم تترجم إلا مؤخرًا وهو شيء عجيب رغم أن المغرب العربي وبحسب الناقدة عبد المعطي . آفة الذكر . تأثر بالرواية الفرنسية منذ عام 1862، وترجمت أعمال روائية ايطالية واسبانية، ودور محمد المشيرقي الذي كان اول من قدم الى القراء في تونس ترجمات لأعمال روائية فرنسية كانت نقطة انطلاقا لترجمات اخرى قدمها العربي الجلولي وابراهيم فهمي ومحمد نجيب وعبد العزيز الوسلاني، كما كانت الترجمة التي قدمت في تونس عام 1911 لتولستوي حدثا مهما في مجال الابداع القصصي، كان له تأثيره في الكتابة القصصية هناك.

وفي الخليج كانت رواية (آلام صديق) لفرحان راشد الفرحان فاتحة هذا الجنس بالكويت سنة 1948، بينما في عام 1981 صدرت أول رواية بسلطنة عمان (رواية الشارع الكبير) للأديب عبد الله الطائي كمحاولة جنينية، مع أن المحاولات الجادة بهذا البلد لم تر النور إلا سنة 1988 عندما أصدر سيف السعدي روايتين هما رواية (خريف الزمن) ورواية (جراح السنين).

إشارة لا بد منها

بعد كل هذا نود أن نوضح أن هذا الخلاف حول أول رواية عربية سيستمر بدلالة أن الروائي اللبناني جرجي زيدان، مؤسس الرواية التاريخية في العالم العربي، بدون منازع ترك أكثر من 20 رواية تاريخية وتوفي سنة 1914 أي سنة صدور (زينب). فمن أين لزينب أو لغيرها أن تكون الأولى؟

تحرير: فريق نقد الرواية العربية